

نقش إسلامي شاهدي ومرثية للإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين

١١٣٩ هـ / ١٧٢٧ م بقبته الضريحية بمدينة صنعاء

Islamic Inscription and Elegy to Al-Emam Al-Mutawakel Ala Allah

Al-Qasim Bin Al-Hussein 1139/1727 at his Grave Qubba at Sana'a City

علي سعيد سيف

Abstract

In the Western side of the wall at Al-Mutawakel's Qubba (Cupola), which is located at the Western side from Bab Al-Sabah at Sana'a City, there is an inscription and an elegy. They are dedicated to Al-Emam Al-Mutawakel Ala Allah Al-Qasim Bin Al-Hussein, who died at Ramadan 22, 1139 Hijri, corresponding May 24, 1727.

This study will include, in addition to the tomb-stone and the elegy reading, description, and analysis of their writings, including the nicknames of Al-Mutawakel and his father and grandfather as they came on the tomb-stone; one of them Mulana'a and Malek Amrana Ameer Al-Mumeenin and Sayad al-Muslimeen. One nickname is Al-Emam Al-Homam who is 'The Cave of Widows and Orphans'. In another side of this study, there is an artificial analysis of Calligraphy properties of the tomb-stone and the elegy as well as a re-decoration of them.

The tomb-stone and the elegy inscriptions carried information like the name of the owner of the tomb who is Al-Emam Al-Mutawakel Ala Allah Al-Qasim Bin Al-Hussein, and the date of his death recorded by month, day, year. It had the sentence 'he died Redwan Allah Aliah at Thursday Ramadan 24, 1139', whereas the elegy was wrote as poetry, and it was signed by the calligrapher Ahmed Bin Salah Al-Swady Al-Sa'ady.

وسيد المسلمين، وكذلك الألقاب الواردة على المرثية والتي منها الإمام الهمام كهف الأرامل والأيتام، وتتبعها على النقوش المماثلة والمنتشرة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، إلى جانب ذلك تتضمن هذه الدراسة تحليلاً فنياً للخصائص الفنية لكتابة هذا الشاهد والمرثية وزخرفتهما.

وقد توفرت في هذا الشاهد والمرثية العناصر الأساسية لكتابة الشواهد؛ منها اسم صاحب الشاهد الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين وتاريخ وفاته باليوم، والشهر، والسنة والذي نصه: 'توفي رحمة الله ورضوانه عليه يوم

يوجد هذا النقش والمرثية وهما في الجدار الشرقي لقبة المتوكل الواقعة إلى الغرب من باب السباح بمدينة صنعاء، وهما يخصان الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين المتوفى في ٢٢ من شهر رمضان من سنة ١١٣٩ هـ الموافق ٢٤ مايو ١٧٢٧ م.

تتناول هذه الدراسة هذا الشاهد والمرثية من حيث وصفهما وقراءتهما والتعليق عليهما، وتحليل مضامينهما لاسيما ألقاب الإمام المتوكل وألقاب أبيه وجدته الواردة على الشاهد والتي منها: مولانا ومالك أمرنا أمير المؤمنين

والذي نصه: 'الحمد لله أمر بعمارة هذه القبّة المباركة وما حولها من المطاهير والبركة والصرح ومخرج الماء إلى المطاهير وإلى الحوض والقبّة الذي يلي الصرح من جهة عدن (الجنوب) من بين السبيل مولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين المنصور بالله رب العالمين أبي القاسم الحسين بن أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين'.

أولاً: الشاهد

١- وصف الشاهد

شاهد قبر من حجر الرخام (المرمم) مستطيل الشكل ينتهي من الأعلى بشكل عقد نصف دائري طوله ٦٢ سم وعرضه ٤٠ سم، ربما تم تنفيذه بأمر من الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم بن صاحب الشاهد في مدينة صنعاء لأنه هو الذي أمر ببناء القبّة على ضريح والده إضافة إلى أن كاتبه هو نفسه كاتب شاهد قبر المنصور بالله،^٣ ومن المرجح أن الحجر قد جلب

الخميس رابع وعشرين رمضان من سنة تسع وثلثين ومائة وألف سنة إلى جانب توقيع الصانع أحمد بن صلاح السوداني الصعدي، أما المرثية فقد نظمت شعراً.

موقع الشاهد والمرثية

الشاهد والمرثية محشوران في الجدار الشرقي لقبّة المتوكل على الله القاسم بن الحسين، (لوحة ١) التي تقع إلى الغرب من باب السباح - أحد أبواب مدينة صنعاء القديمة في موضع كان يسمى بيستان المسك^١ بميدان التحرير وسط مدينة صنعاء، وهذه القبّة أمر ببنائها الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم على قبر والده، وهو ما أشار إليه النص التأسيسي الموضوع في الجدار الشرقي لقبّة الأيهر والذي نصه: 'وأما الموضع الذي قد كان استثنى لقبر ذاته من القبّة التي عمرها على ضريح والده أعاده الله من بركاته وسبلها لعبادة الله وتلاوة آياته'،^٢ إضافة إلى ما ورد ضمن الشريط الكتابي الذي يزين جدران قبّة المتوكل



(لوحة ١) توضح موقع القبّة الضريحية للإمام المتوكل بصنعاء

محمد وعلي آل محمد* وارحم صاحب هذا
الضريح وهو مولانا
ومالك أمرنا* أمير المؤمنين وسيد المسلمين
المتوكل على الله رب العالمين
القسم بن الحسين بن أمير المؤمنين المهدي لدين
الله أحمد بن الحسين بن أمير المؤمنين المنصور
بالله لقسم بن محمد* بن علي بن محمد* بن علي بن
الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين
الأملحي بن علي بن يحيى بن محمد* بن يوسف
الأصغر الملقب بالأشل بن القسم بن الإمام الداعي
إلى الله يوسف الأكبر بن الإمام المنصور بالله يحيى
بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن
الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القسم
بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن
الحسن بن أمير المؤمنين
وسيد الوصيين علي بن أبي طالب* صلوات الله
عليهم أجمعين توفي رحمه الله ورضوانه عليه
يوم الخميس رابع وعشرون من شهر رمضان الكريم
من سنة تسع وثلاثين ومائة والى سنة*
قدس الله روحه ونور ضريحه وغفر الله لكاتبه محب
آل محمد أحمد بن صلاح السوداني الصعدي

ب - الهامش

الهامش يتكون من ثلاثة أجزاء أيمن وأيسر وأعلى:
- الأيمن:

جاءت نصوصه من قوله تعالى:

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ
الْخَيْرُ

من منطقة المهاذر بمحافظة صعده وذلك لما تتميز
به أحجار هذه المنطقة من جودة في الصقل، وحالته
سليمة وجيدة ونصوصه واضحة ومقروءة ويتكون
من اثني عشر سطراً، نفذت بخط الثلث البارز يفصل
بينها خطوط بارزة بروز الأحرف نفسها، ويؤطرها
هامش من الجانبين، والهامش الأعلى الذي اتخذ
شكل عقد نصف دائري ارتكزت رجلاه على زخرفة
كتابية قوامها (بالله) إذ تقرأ من الجهات الأربع.

بينما يقوم الهامش في الجانبين على زخرفة هندسية
قوامها نجمة سداسية الشكل (غطيت في فترة متأخرة
بالقار)، إلى جانب ذلك نجد أن السطر الأعلى من
المتن قد اتخذ الشكل المثلث بضلعين ذوّي زخرفة
مجدولة، ويتخلل المتن زخرفة لوريدات نباتية،
وهناك إهمال واضح في عدم إعجام بعض الحروف
المعجمة كما في الباء، والتاء، والنون، والياء.

أما عن تاريخ تنفيذ كتابة الشاهد فيستشف من
تاريخ وفاة صاحب الشاهد أنه نفذ بعد الوفاة، لأنه لم
يسجل تاريخ النقش وأن الذي أمر ببناء قبة على ضريح
المتوكل هو ولده الحسين استناداً إلى النص المزبور
على جدران القبة والذي يدل على أنه نفذ بعد الوفاة
إذ نص على 'أمر بعمارة هذه القبة الإمام المنصور بالله
الحسين بن القاسم على ضريح والده'.

٢- القراءة: (شكل رقم ١)

توزعت نصوص الشاهد في قسمين رئيسيين؛ متن
وهامش:

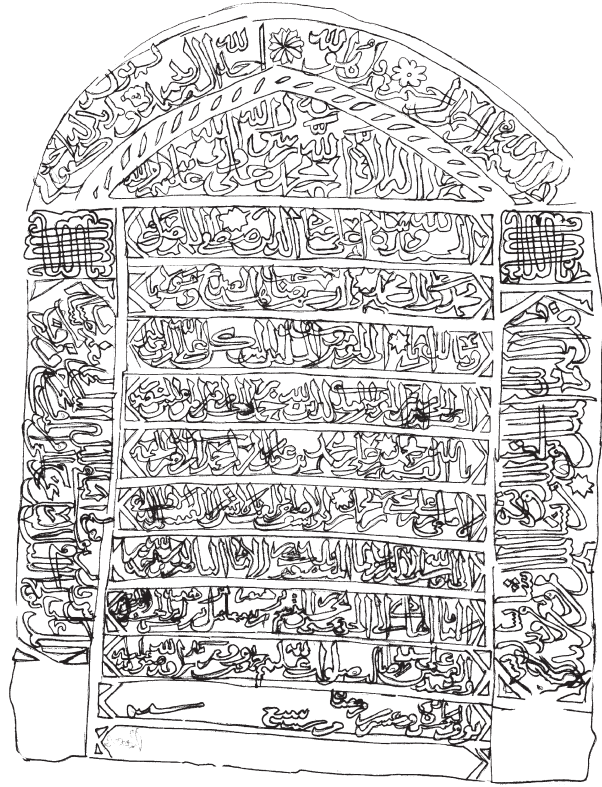
أ- المتن

لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله عليهم
سلام الله
الحمد لله وسلام على عباده الذين* اصطفى اللهم
صلي على

ت - التعليق

يعد هذا الشاهد على جانب كبير من الأهمية التاريخية بسبب أنه موضوع في الجدار الشرقي للقبة الضريحية التي دفن بها الإمام القاسم بن الحسين، وهذا يعني أن موضعه لم يتغير ويؤكد أن هذه البقعة من القبة المدفون بها صاحب الشاهد تخصه، وأنها برسم دفنه كما أيد ذلك النص التأسيسي الموضوع في الجدار الشرقي للقبة الضريحية بمسجد الأبهري، وأنه بالقرب من مكان الدفن الذي احتل الركن الجنوبي الشرقي من ساحة قبة المتوكل والتي حددها النص بالجهة العدنية (الجنوبية) من القبة، إضافة إلى أنه نقش عليه اسم الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسن وصولاً بنسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وتاريخ وفاته باليوم والشهر والسنة فقد نص على أن وفاته كانت في يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر رمضان من سنة تسع وثلاثين ومائة وألف، إضافة إلى أن كاتبه قد سجل اسمه في نهاية النص بقوله 'وغفر الله لكاتبه محب آل محمد أحمد بن صلاح السوداني الصعدي'.

والقاسم لا يعرف تاريخ مولده، وإنما يشير المؤرخون إلى أنه نشأ نشأة آبائه، وأنه اشترك في الكثير من معارك القتال، حتى صار لدى عمه الإمام المهدي محمد صاحب المواهب، من أعظم القادة والمقربين وكان يعينه في المهمات فيدفعها ويقوم بحلها وتارة كان يعتقله لما يرى من ميل الناس إليه، وعلو همته وترشيحه للخلافة، واتفق أنه في أيام اعتقاله عرض للمهدي مهمة عظيمة، لا يقوم بها إلا هو فأخرجه من السجن، فرغب الناس بمبايعته فاعتذر لهم بأنه لم يكن في العلم مستوفياً للاجتهاد ومحيطاً بما يحتاج إليه في الإصدار والإيراد، بل



(شكل ١) يوضح شاهد القبر (عمل الباحث).

- الأيسر:

جاءت نصوصه تكملة للآيات التي ورد بعضها في الجانب الأيمن ونصت على قوله تعالى:

'إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ'؛

- العلوي:

وفي هذا الجانب جاءت عباراته من قول الحق سبحانه وتعالى:

'بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ'؛

أوهمهم أن يبائعوا الحسين بن القاسم بن المؤيد صاحب شهارة،^٦ الذي كان يعد من مشاهير العلماء.

وباعه المتوكل على الله القاسم بن الحسين وتلقب بالمنصور وليس له إلا الاسم ثم شرع في مناظرة المهدي فقاد إليه الجيوش وحاصره في مدينة المواهب وبدأ الصراع بينهما سنة ١١٢٦هـ، ثم إن المهدي خلع نفسه وباع للحسين بن القاسم خلعاً للقاسم بن الحسين (صاحب الشاهد) ومال إليه الناس فباعوه في سنة ١١٢٨هـ، فامتنع المهدي عن ذلك متعللاً بأنه إنما خلع نفسه بشرط أن يكون الخليفة الحسين وليس القاسم، وعندئذ حاصره المتوكل حتى أذعن له في سنة ١١٣٩هـ وصفت له اليمن، وكان يستقر غالب الأيام في صنعاء، ويخرج أحياناً إلى حدة فيستقر فيها.^٧

وفي هذا أورد السيد عبد الله بن علي الوزير في ذيل البسامة الشهيرة لجدده السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد أبيات يؤيد ذلك منها:

وأعدت 'صاحب الوقت' المنور في

تخت الخلافة عن فحص وعن نظر

أبا الحسين كريم الطبع قسورة

الحرب الزبون عفيف الثوب والأزر

أرخت لها جناحيها فمد لمحت

إليه وافاه وشك اللحم بالبصر

سرى صداه بلا حل ومرتحل

في كل قلب مسير الشمس والقمر

وطيرت صيته في الخافقين على

قوادم السعد والإسعاد والظفر

.....

ومن غرائب صنع الله كنيته

تاريخ دعوته فاعده واختبر

واحصر ودادك فيه واتخذ يدًا

واحذر تعض بنان النادم الحصر^٨

وأما عن أعماله المعمارية فيذكر ابن القاسم أنه في سنة ١١٣١هـ مد الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين يد العمران إلى حدة وأمر بتأسيس دار فيها فوق ماجل حميس كما قام بشراء بستان باب السبحة - أحد أبواب مدينة صنعاء الواقع في الجهة الغربية منها واتخذ لنفسه، إذ عوض القبائل عنه بسمسرة فروة ونوب الدائر (جعل للسور أبراجًا) كما أدار على البستان الدائر (جعل له سورًا)،^٩ وقام بتوسعة مسجد صلاح الدين وأسند الإشراف على التوسعة إلى الشيخ أحمد بن حسن الشاطبي، كما كمل (تم) بروضه حاتم مسجد الديباني، وأمر في سنة ١١٣٣هـ بعمارة دائر (سور) المشهد بجبانة (مصلى العيدين) صنعاء وذلك لضعف بنائها الأول والذي لم يبق من عمارته الأولى إلا القبلة والمنبر أي أنه أعاد تجديد الجبانة كاملة عدا جدار القبلة وقد تولى الإشراف على عمارتها الحاج سعد المجزبي،^{١٠} وفي سنة ١١٣٤هـ أكمل البناء عمارة دار العين بحدة مع جامعها^{١١} والتي بدأ في بنائها سنة ١١٣٣هـ، كما تم بها دار الماجل^{١٢} كما اكتمل في هذه السنة ١١٣٤هـ السور على بستان باب السباح الذي بدأ في بنائه سنة ١١٣١هـ،^{١٣} وفي هذا الصدد يشير العلامة محمد بن إسماعيل الأمير يصف فيها مباني المتوكل في حدة من دار العين وجامعها بقوله خرجت إلى حدة في سنة ١١٦٥هـ فدخلت الدور المتوكلية التي بناها المتوكل على الله القاسم

بن الحسين رحمه الله فوجدت الخراب قد استولى
على مبانيها وأذهب مرور الزمان غوانيتها ومغانيتها
وصارت للمعتبرين عبرة،^{١٤} وكانت للناظرين قرّة،
فجاش الخاطر بهذه الأبيات لتكون موعظة من
العظات:

طال الوقوف على الأطلال والدمن
فاستزوها خبراً عن ذلك الزمن
ونادها عن بنيتها والبناء لها
والنازلين بها في أقرب الزمن
تخبرك ناطقة بالحال صادقة
بكل ما كان من قبح ومن حسن
.....

وتم للقاسم المسعود ما سمحت
به المقادير من نجد إلى عدن
وشاد في حدة دوراً مزخرفة
تروي بما شاده الأملاك في المدن
مرت له سنوات في تنعمه
كأنها خفقات العين بالوسن
ثم اثنت هذه الدنيا لعادتها
وبادرت بما يخشى من المحن^{١٥}

هذا ولما كانت سنة ١١٣٩ هـ أقبل على تلاوة
القرآن وفعل المحسنات وكأنه قد أحس بدنو أجله،
ولما لم يبق من شعبان إلا القليل أمر الإمام بالتمشية
ورجع إلى الميدان وكان قاعدته في البغشيش
(الحلاوة) للأجناد يتولاها بنفسه ثم دخل إلى داره
فأدرك بجوفه التهاباً فدخل من ساعته الحمام، ولما
خرج زاد به الالتهاب واستدعى الماء ودعي بالفاصد
عن أمر الطبيب فما زاد الفصد إلا زيادة في العلة فلزم
الفراش وضعفت قواه عن الانتعاش وازداد به الألم،
فدعا بابنه الحسين ليصل إليه فتناقل عن الوصول
وظن أنها حيلة عليه (للخلاف الذي بينهما) فلما

تحقق من صدق المقال سعد من عمران يوم الثلاثاء
لعشرين خلت من رمضان واستصحب جيشاً جراراً
وبرز بهم يوم الأربعاء في بئر العزب، ودخل إلى زيارة
أبيه في الخواص من أصحابه، فمكث عند أبيه ساعة
وخرج إلى أصحابه، ولما كان يوم الخميس لاثنين
وعشرين خلت من رمضان توفي الإمام المتوكل
على الله ودفن بموضعه الذي عليه قبته الآن في باب
السباح والتي تسمى باسمه،^{١٦} بينما يذكر الشاهد أن
الوفاة كانت في يوم الخميس الرابع والعشرين من
شهر رمضان، وهذه القبة كما يشير النص التأسيسي
الموجود في قبة الأبر إلى أن بانيها هو ولده الإمام
المنصور بالله الحسين بن الإمام المتوكل على الله
سنة ١١٣٩ هـ وسبلها لتكون برسم دفن والده؛ بعد
وفاته إذ إن هذه القبة قد تم بناؤها قبل وفاة المتوكل
على الله القاسم بن الحسين.^{١٧}

ومهما يكن من صاحب الشاهد وسيرته فإن للشاهد
أهمية أخرى بما تتضمنه نصوصه من ألقاب لها دلالتها
الدينية والتاريخية وهي ألقاب تخصه وأخرى تخص آباءه
وأجداده، وهذه الألقاب هي:

أولاً: الألقاب التي تخص صاحب الشاهد

• مولانا: المولى

يطلق في اللغة على السيد، وعلى المملوك، والعتيق،
وعلى المنتسب إلى قبيلة، وقد استعمل كلقب بمعنى
السيادة أحياناً، وبمعنى الانتماء أحياناً أخرى، وقد
ورد لفظ المولى في بعض النقوش مشيراً إلى الصلة
الحقيقية، ومن ذلك ما ورد في نص جنازتي بتاريخ
شهر المحرم سنة ١١٨٦ هـ بالفسطاط، وكذلك في نص
في بعض عيون مكة باسم أم جعفر بنت الفضل سنة
١٩٤ هـ وغيره وأصبح كلقب يعبر عن التواضع، ثم
أصبح يطلق على السلطان ومن ذلك أن صلاح الدين

الدين المتوفى ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م والإمام القاسم صاحب النقش.

• سيد المسلمين

السيد في اللغة المالك والزعيم وقد أطلق كلقب عام على الأجلء من الرجال واصطلاح على إطلاقه على أبناء الإمام علي بن أبي طالب وكان اللقب يضاف إلى ضمير المتكلم فيقال سيدنا، وقد أطلق على رجال السياسة والعلم والدين والصالحين^{٢٢} كما ورد لقباً للإمام المتوكل على الله شرف الدين يحيى في النصوص التسجيلية التي تزين مسجد الفليحي بصنعاء، وجاء هنا لقباً للإمام المتوكل على الله القاسم صاحب الشاهد.

• المتوكل على الله رب العالمين

المتوكل من الفعل (وكل) وهو الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره،^{٢٣} وكان أول من تلقب به هو المتوكل على الله العباسي ٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م، وقد أضيف إليه على الله رب العالمين أما في اليمن فقد عرف به الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين وأصبح نعتاً خاصاً به، وقد ورد هنا لقباً للإمام المتوكل على الله القاسم صاحب الشاهد.

ثانياً: الألقاب التي تخص آباءه وأجداده

• أمير المؤمنين المهدي لدين الله

أمير المؤمنين من الألقاب المركبة والمضافة إلى المهدي لدين الله، والمهدي وتعني الموجه من الله إلى طريق الحق والصواب، وقد كان هذا اللقب ذا شأن خطير في الإسلام لاسيما عند الشيعة، فقد كان من أبرز مميزات العقيدة الشيعية إذ أطلق على المهدي كقائد سياسي للشيعة، ثم أطلق على المهدي

أطلق اللقب على مولاة نور الدين في بعض مكاتباته وأطلق على الأمراء وكبار رجال الدولة،^{١٨} وورد هنا لقباً للإمام شرف الدين على توسعته في مسجد الفليحي كما ورد لقباً للإمام المهدي محمد علي في نص توسعته بالمسجد نفسه؛ وهنا يرد لقباً للإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين على شاهده.^{١٩}

• مالك أمرنا

المالك خلاف المملوك وهو من الألقاب الملكية في العصر الإسلامي وربما كان أقدم استعماله في النقوش هو إطلاقه على ظهير الدين طغتكين في نص إنشاء بتاريخ ٥٠٦ هـ في مسجد عمر في بصرى، ثم شاع استعماله في العصر المملوكي ضمن ألقاب الملك الأشرف شعبان في نقشين بتاريخ ٧٧٠ هـ في مدرسته، وقد أضيف إلى اللقب بعض الكلمات لتكوين ألقاب مركبة مثل مالك البحرين، ومالك بلاد الله، ومالك الحرمين الشريفين، ومالك رقاب الأمم... الخ^{٢٠} بينما ورد هنا مضافاً إليه أمرنا تأكيداً على أحقية الإمام المتوكل على الله القاسم في الحكم وذلك لما حدث من صراع بينه وبين عمه على اعتبار أنه من نسل الإمام علي ابن أبي طالب.

• أمير المؤمنين

من الألقاب المركبة على لقب أمير وهو ثاني لقب ظهر في الإسلام بعد الخليفة، وأول من تلقب به هو الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ويعطي هذا اللقب الصفة الدينية والسياسية ومنذ عهد عمر أصبح هذا اللقب من ألقاب الخلفاء فصار يطلق على الخلفاء ومدعي الخلافة في جميع أنحاء العالم الإسلامي،^{٢١} وفي اليمن كان أول من تلقب به هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ثم سار من بعده أئمة الزيدية إلى آخر حاكم منهم، وهو الإمام أحمد بن حميد

قرة بن شريك وعلى خزيمة بن حازم في عصر الهادي ١٧٠هـ وأحمد بن طولون ٢٦٥هـ في جامعه.

واستعمل (الأمير) بمعنى الوالي على الدولة الفاطمية فأطلق على أنوشتكين الدزبري حين كان والياً على الشام وعلى بدر الجمالي وأطلق على بني بويه لما استبدوا بأمر الدولة العباسية، وأطلق أيضاً منذ العصر الأموي على الوليد بن عبد الملك وغيره، وأطلق على أمراء المماليك وأكثر شيوعاً في عصر السلاجقة^{٢٩} واستمر هذا اللقب يطلق على الأمراء حتى العصر الحاضر في الدول الملكية.

• الأملحي

هذا اللقب كثيراً ما يتردد في تسلسل ألقاب الأئمة الزيدية ويعني الحسن والجمال، وهو لقب يطلق على الحسين بن علي بن يحيى ابن محمد.

• الأشل

لقب يتردد على شواهد القبور الإسلامية في اليمن ويخص محمد بن يوسف الأصغر الملقب بالأشل.

• الإمام

وتعني القدوة ويقال أم القوم في الصلاة فهو إمام وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى 'قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا'^{٣٠} وقد استعمل كلقب لمن يتولى أمور المسلمين منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم وكان أول من تلقب به إبراهيم بن محمد (أول خليفة بني عباسي)،^{٣١} كما أن أول نقش وردت فيه كلمة إمام هو نص إنشاء قبة الصخرة سنة ٧٢هـ من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، ولكن اللقب فيه أطلق على المأمون،^{٣٢} وفي اليمن أطلق هذا اللقب على الأئمة الزيديين، وأول من تلقب به هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (توفي ٢٩٨هـ) وقد ورد على

المنتظر،^{٣٤} وورد مضافاً إليه لدين الله، وقد ورد هذا اللقب للإمام المهدي أحمد بن الحسين ت ٦٥٦هـ على شاهد قبره في قبته الضريحية بمدينة ذيبين.^{٣٥} وقد عرف بهذا اللقب أيضاً الإمام المهدي لدين الله محمد صاحب المواهب على النص التسجيلي في زيادته في مسجد الفليحي بصنعاء،^{٣٦} وورد هنا على الشاهد كلقب للإمام المهدي صاحب المواهب جد الإمام المتوكل صاحب الشاهد.

• أمير المؤمنين المنصور بالله

أمير المؤمنين من الألقاب المركبة والمضافة إلى المنصور بالله والمنصور من الألقاب المركبة والمنصور نعت خاص بالخليفة أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس، فورد ضمن ألقابه في نص تشييد بأذربيجان، ثم لقب به كثيرون ولقب المنصور يشير إلى أن صاحبه مؤيد من الله بالنصر،^{٣٧} ويؤيد ذلك إضافة لفظ الجلالة إلى لقب المنصور بحيث أصبح من الألقاب الملكية وهو المنصور بالله، وهنا ورد هذا اللقب للمنصور بالله الحسين بن القاسم، وكان أول من تلقب به في اليمن هو الإمام المنصور بالله عبد الله حمزة حيث ورد على تابوته وشاهد قبره.^{٣٨}

• الأمير

الأمير في اللغة ذو الأمر والتسليط، وهو لقب من ألقاب الوظائف التي استعملت كذلك كألقاب فخرية، ويرجع استعماله إلى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، حين كان يقصد به الولاية على الحكم، أو رئاسة الجيش، أو الولاية العامة وقد ورد بهذه المعاني في أحاديث نبوية وقد استعمل (الأمير) كلقب دال على الوظيفة لولاية الأمصار التابعة للخلافة الإسلامية العامة، كما تشير أقدم النقوش المعروفة، فأطلق على عبد العزيز بن مروان في نقش سنة (٦٩هـ) على إحدى قناطر الفسطاط 'عبد العزيز بن مروان الأمير، وأطلق على

الناصر محمد بن قلاوون، ودخل لفظ (ناصر) في تكوين كثير من الألقاب المركبة مثل (ناصر الإسلام)، و(ناصر الإمام)، و(ناصر أمير المؤمنين)^{٣٤} وقد ورد هنا لقباً للإمام الناصر لدين الله أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ت ٣٢٥هـ/ولذا يعد أقدم من تلقب بهذا اللقب.

• الهادي إلى الحق

الهادي: اسم فاعل من الهدى أي أنه يهدي إلى طريق الحق، وكان نعتاً لأحد الخلفاء العباسيين 'موسى الهادي'، وكان اللقب يأتي على صيغة الجمع 'الهداة' لوصف الأئمة الفاطميين، ومن أمثلة ذلك وروده في نقش بتاريخ (٥١٩هـ) على لوح من الخشب من محراب خاص بالآمر عثر عليه في الجامع الأزهر ومحفوظ الآن في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة،^{٣٥} وأول من تلقب به في اليمن هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين.

• سيد الوصيين

لقب تردد كثيراً على شواهد القبور الإسلامية في اليمن، ويطلق عادة على الإمام علي بن أبي طالب.

هـ - الخصائص الفنية

أما من حيث الخصائص الفنية بشقيها الخطي والزخرفي، فيلاحظ فيه الجهد الكبير الذي بذله النقاش لجعل من شاهده تحفة فنية، نفذت كتاباته بخط الثلث على درجة كبيرة من الدقة والإتقان المستوفي في معظم الأحيان لحركات الشكل والإعجام، وفيه نجد أن الخطاط قد التزم بمقايير ونسب خط الثلث بدقة ووضوح كامل بالرغم من عدم وجود مسافات بين الكلمات مما اضطر الكاتب إلى إركاب بعض الحروف والكلمات بسبب كبر حجم النص وهي خاصية من خواص خط الثلث، كما التزم برسم الحرف

تابوت الهادي وابنه الناصر بصعدة وظل مستخدماً حتى سنة (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) وكان آخر من تلقب به هو الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين.

• الداعي إلى الله

كان من ألقاب القائمين بالدعوة الشيعية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وكان رئيس الدعاة يسمى (داعي) وقد نقش هذا اللقب على نقود كبراء العلوية في طبرستان وغيرها، كما دخل هذا في تكوين بعض الألقاب المركبة مثل (الداعي إلى الحق)، وقد أطلق على يوسف بن يحيى بن الناصر في كتابه على قطعة من النسيج مؤرخة بسنة ٣٥٠هـ ومما جاء فيها 'الداعي إلى الحق أمير المؤمنين يوسف بن يحيى بن الناصر... أحمد بن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين'،^{٣٦} والداعي إلى الله وهو لقب تلقب به أيضاً يوسف الأكبر بن الإمام المنصور بالله يحيى بن الناصر كما ورد على الشاهد موضوع الدراسة.

• الناصر لدين الله

استعمل كلقب يقصد به (الناصر لدين الله) وقد اتخذ بعض الولاة لقب (الناصر) نعتاً خاصاً فقد تلقب به الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الأطروش الذي استولى على طبرستان سنة (٣٠١هـ)، كما نعت به عبد الرحمن الأموي لما تلقب بالخلافة فقد ورد ضمن ألقاب سنة (٣٥٠هـ) وعلى تاج عمود من الرخام من قرطبة، وفي أواخر العصر الفاطمي أضافه العاضد إلى صلاح الدين حين عهد إليه بالوزارة بعد وفاة عمه شيركوه فصار ينعت (بالمملك الناصر) وقد تلقب به من الأيوبيين الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن يوسف بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، كما أطلق على بعض المماليك ومن أشهرهم

رمضان سنة ١١٣٩هـ، ثم في السطر الأخير نجد توقيع الكاتب بنص وغفر الله لكاتبه محب آل محمد أحمد بن صلاح السوداني الصعدي، (شكل رقم ٢).

أما كاتب النقش فهو أحمد بن صلاح السوداني الصعدي، لم نعرف له ترجمة ولكنه تخصص في كتابة النقوش الشاهدية فقد قام بنقش شاهد قبر الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم بقبته بجوار مسجد الأبهى بصنعاء^{٣٩} والنقش والمرثية موضوع الدراسة، وفي هذا يمكن القول إن الصانع قد أظهر براعة في تجويد الخط والنحت والزخرفة.^{٤٠}

أما الهامش فيتكون من شريط يحف بالمتن من الجانبين الأيمن والأيسر ومن الأعلى جاءت نصوصه عبارة عن آيات قرآنية قوامها في الجانب الأيمن والأيسر من قوله تعالى من سورة آل عمران آية ٢٦، ٢٧ أما الجانب الأعلى فقد جاءت نصوصه من سورة الإخلاص.

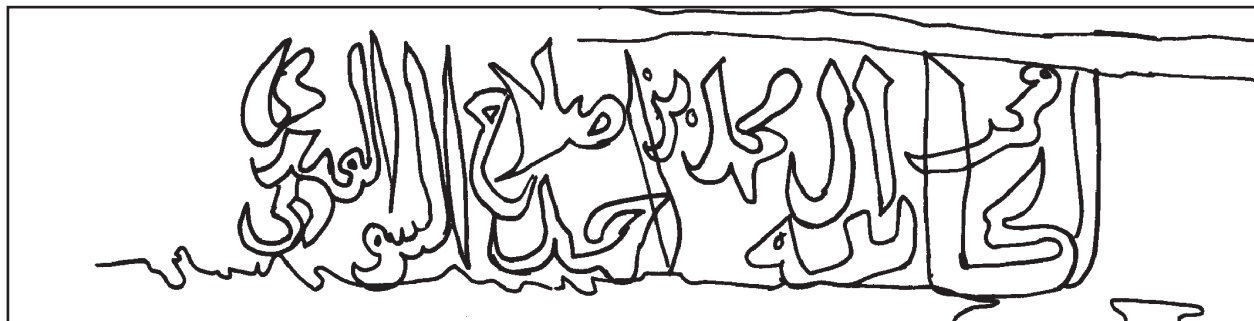
الزخارف

اشتمل الشاهد على زخارف نباتية وكتابية وهندسية، جاءت بسيطة في تكوينها الزخرفي، فالزخارف النباتية جاءت عبارة عن وريادات ثمانية البتلات لم تنفذ بدقة إذ إن بعضها يميل إلى الاستطالة، وقد نفذت وردة بكل سطر ولم يلتزم الكاتب في مكان بعينه من السطر عدا السطر السادس فقد

الواحد في جميع كلمات الشاهد تقريباً، إضافة إلى عناصر زخرفية عبارة عن وريادات تخللت النص.

وهذا النوع من الخط قد بدأ ظهوره منذ منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي على شواهد القبور بمصر، إذ يعتقد أن أقدم الأمثلة على تلك البداية شاهد قبر مؤرخ في سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة،^{٣٦} ثم كثر بعد ذلك استخدامه للأغراض التذكارية والجنائزية حتى أصبح في عصر هذا الشاهد وقبله وبعده من أكثر الخطوط شهرة وانتشاراً على الآثار سواء في الحجاز^{٣٧} أو في اليمن،^{٣٨} وذلك لليونة الحروف ومرونتها.

أما من حيث توزيع كتابة النص، فنجد أنها نفذت في قسمين: متن وهو القسم الرئيسي ثم قسم ثان وهو الهامش الذي يحيى ط بالمتن من جوانبه الثلاثة عدا الجانب السفلي، يتضمن المتن اثني عشر سطرًا نقشت بين خطوط متوازية وبارزة بروز الأحرف نفسها وقد استهل المتن بسطر اتخذ الشكل المثلث الذي جاء نتيجة إركاب بعض الكلمات فوق بعض، واحتوى السطر عبارة التوحيد مضافاً إليها علي ولي الله عليهم سلام الله، وهذه العبارة نجدها دائماً تتردد عند الشيعة، ثم الصلاة على النبي يليها اسم المتوفى وألقابه ونسبه الذي استحوذ على معظم نصوص الشاهد وتاريخ الوفاة المحددة بيوم الخميس ٢٤



(شكل ٢) يوضح توقيع الصانع على النقش الشاهدي، (عمل الباحث)

حركات الشكل والإعجام

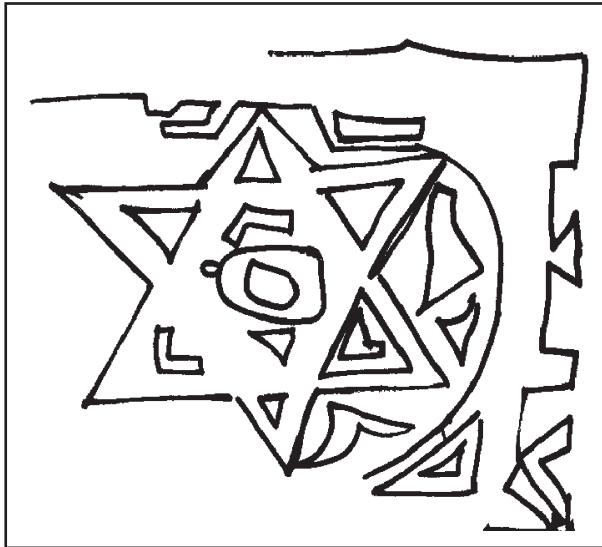
لقد تم نقش هذا الشاهد بخط الثلث الموجود والمستوفي في معظم الأحيان لعلامات الإعجام (التنقيط) والإعراب (التشكيل)، إلا من بعض الكلمات التي أهمل الكاتب فيها علامات الإعجام والتي جاءت أغلبها في الأسماء وربما قصد بذلك أنه بسبب سياق الكلام ومعرفة القارئ بالأسماء ليست هناك حاجة إلى إعجام تلك الكلمات، والتي ربما كانت لو وضعت لأخلت بنسق كتابة النقش ولشوهت جمال الكتابة.

إلا أننا نجد قد أعجم الحروف في الكلمات التي يمكن أن تلتبس على القارئ، ومن تلك الكلمات التي أهمل إعجامها الياء في كلمة 'علي' في السطر الأول وكلمة 'الذي اصطفى' في السطر الثاني، وكلمة 'مولانا' في السطر الثالث وكلمات 'أمرنا والمؤمنين وسيد المسلمين والمتوكل والعالمين القسم وابن والحسين والأمير' في النقش و'يوسف' في السطر السادس والثامن، و'الأكبر والناصر لدين الله'، وكلمة 'يحيى'.

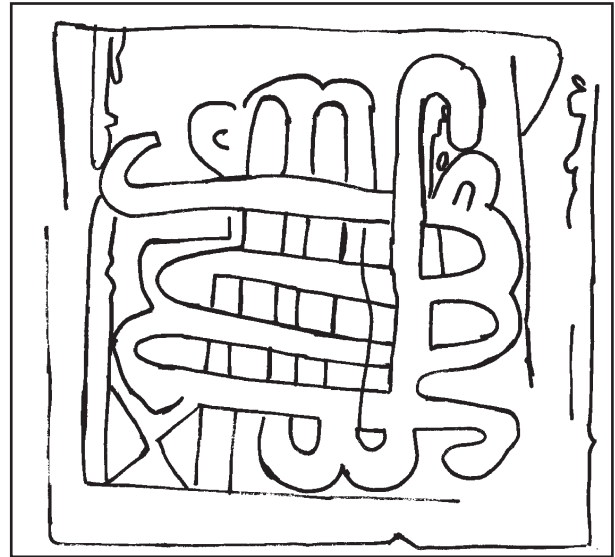
وجد به وردتان، بينما نجد أن الوردة التي تنصف الجانب الأعلى من الهامش قد جاءت متقنة وواضحة بتلاتها.

كما أن هناك أسطر خلت من هذه الزخرفة هي الأولى، والخامس، والثامن، والتاسع، والثاني عشر، أما الزخرفة الكتابية فقد عمد الكاتب إلى تشكيل كلمة بالله (شكل رقم ٣) بحيث يستطيع المشاهد لها أن يقرأها من كل جانب، وقد وجد منها اثنتان تقعان عند التقاء الهامش على جانبي الشاهد مع الجانب الأعلى.

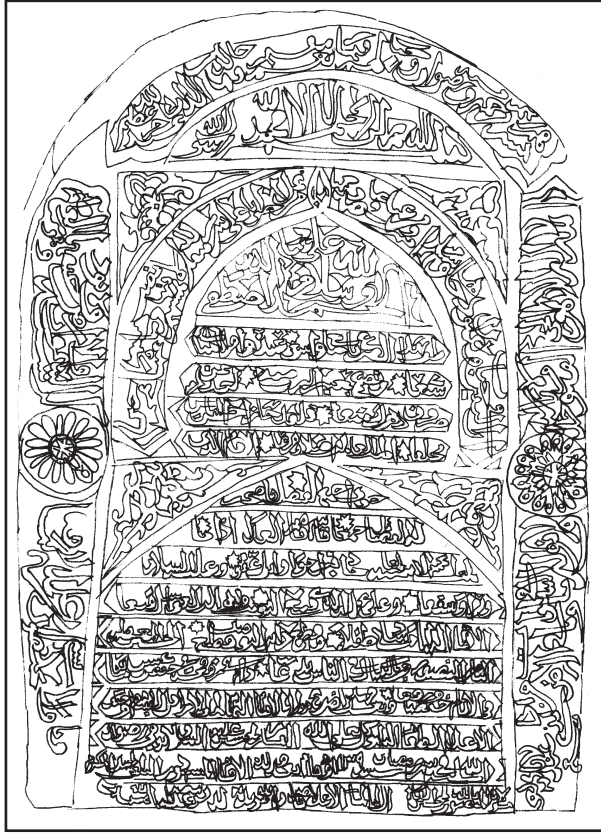
أما الزخرفة الهندسية فقد اشتمل الشاهد على النجمة السداسية (شكل رقم ٤) والتي وجدت منها اثنتان يرتكز عليهما الهامش في الجانب الأيمن والأيسر، كما وجدت أشكال سداسية ذات الشكل المستطيل والتي تشكلت منها سطور المتن وهوامشه إضافة إلى الزخرفة الجزاجية التي تعلو السطر الأول.



(شكل ٤) يوضح النجمة السداسية على النقش الشاهدي، (عمل الباحث).



(شكل ٣) يوضح كلمة بالله على النقش الشاهدي، (عمل الباحث).



(شكل ٥) يوضح المرثية (عمل الباحث).

فصل بين كتاباتهما بزخرفة هندسية عبارة عن طبق نجمي، أما الأعلى فقد اتخذ شكل عقد نصف دائري شغل بحره شريط كتابي نص على البسملة وعبارة التوحيد.

٢- القراءة

توزعت نصوص هذه المرثية بين متن وهامش

أ- المتن

بسم الله الرحمن الرحيم لإله إلا الله محمد رسول الله
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
طف بهذا الضريح يا صاح* واسعي عنده واقراء
المثاني
سبعا وتضمخ بعنبر الترب منه* لتحذر

في السطر التاسع وكلمة 'الوصيين وطالب وصلوات' في السطر العاشر. وفي الهامش في جزئه العلوي أهمل الإعجام في البسملة وسورة الإخلاص، أما جانبا الهامش فوجد في الجانب الأيمن منهما أنه قد أهمل الإعجام في كلمة 'من وممن ويبدك'، وفي الجانب الأيسر أهملها في جميع الكلمات عدا الكلمات التي جاءت في نهاية هذا الجانب مما استدعى الكاتب أن يصغر الحرف ويركب بعض الكلمات فوق بعض، إضافة إلى أنه استخدم عناصر أخرى صغيرة مع علامات الإعراب لسد الفراغات لأغراض زخرفية.

ثانياً: المرثية

١- وصف المرثية: (شكل رقم ٥)

المرثية عبارة عن قصيدة رثاء قيلت في الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين كُتبت على حجر من الرخام اتخذ الشكل المستطيل طوله ٧٤ سم وعرضه ٤٧ سم ينتهي من الأعلى بشكل عقد مدبب وبحالة سليمة وجيدة وكتابتها واضحة ومقروءة، ويفصل بين سطورها خطوط بارزة بروز الأحرف نفسها وتتكون من قسمين رئيسيين: المتن وهامش، المتن قسم إلى قسمين: علوي وسفلي؛ العلوي اتخذ الشكل المستطيل توزعت نصوصه في جزأين، متن ويتكون من خمسة أسطر، وهامش يحيط به اتخذ شكل عقد نصف دائري، أما القسم السفلي فقد اتخذ الشكل المستطيل، وتوزعت نصوصه في عشرة أسطر يعقد عليها عقد مدبب، وقد تخلل المتن في القسمين زخرفة نباتية قوامها وريدة ثمانية البتلات جاءت عند وزن وقافية كل بيت، فضلاً عن ذلك فقد زينت توشيحتي العقدين بزخرفة عربية مورقة.

أما الهامش فقد اكتنف المتن من جهات ثلاث: الأيمن، والأيسر، والأعلى، الأيمن والأيسر

عن صروف دهرك منعا* فلقد حاز أحسن الناس
خلقا* أطيب العالمين أصلا وفرعا* الإمام الذي
حوى أجمع الفضل* فأضحت

له الفضائل جمعا* قاسم قاصم العدا* إذا ما
لمعت أنجم الأسنه لَمعا* جاد قبرا حواه وابل عفو
وعليه السلام

وترا وشفعا* وعلى نجله الذي قمع النواصب وآله
العواسل قمعا*

الإمام الهمام من ساد طفلا* وقطع دابر النواصب
قطعا* الحسين المعظم

الناصر المنصور من بالكمال في الناس يدعا* دام
في رفعة وفي حفص عيش مالكا

في الأنام حفضا ورفعا* وبعد فهذا ضريح مولانا
الإمام الهمام كهف الأرامل والأيتام وحتف

الأعداء الطغام المتوكل على الله القاسم بن الحسين
عليه السلام توفي رضوان

الله عليه في شهر رمضان سنة ١١٣٩ وقام بعده
ولده الإمام المشهور ذوالسعي الحميد المهدي
مولانا المنصور بالله الحسين بن القاسم لازال
لهامات الأعداء قاصم والله يؤيد به الدين وينصره
على أعداء الله المعتدين

ب- الهامش

يكتنف هذه المرثية كما سلف هامشان الأول
يحيط بالجزء العلوي من متن المرثية وقد اتخذ
شكلاً نصف دائري، ونص على قوله تعالى 'إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ

مُتَقَابِلِينَ لَا يُمَسَّهِمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا
بِمُخْرَجِينَ'١؛ أما الثاني فيحيط بالمرثية من
جوانبها الثلاثة الأيمن، والأيسر، والأعلى:

• الأيمن: نص على قوله تعالى 'اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ
عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا

• الأيسر: جاء تكملة لآية الكرسي ونص على
قوله تعالى 'بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يَحِيطُ طُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ
كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ'٢؛

• الأعلى: فقد نص على قوله تعالى 'يُبَشِّرُهُمْ
رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ'٣؛

ج - التعليق

جاء موضع المرثية بين تابوت المتوكل وشاهد
قبره ليؤكد أن هذا الموضع مخصص لقبر ذاته
وأنه مستثنى من أرضية القبة لدفن جثمانه وحددها
بالتابوت على قبره والشاهد، وهذه المرثية التي جاء
في نصوصها أن هذا الضريح يخص الإمام المتوكل
على الله القاسم بن الحسين وتاريخ وفاته شهر رمضان
سنة ١١٣٩ هـ دون ذكر لليوم الذي توفي فيه وسلسلة
النسب وذلك لكي يتعد الكاتب عن التكرار لأن
ذلك قد نقش على الشاهد، إضافة إلى ذلك أشارت
المرثية إلى أن الذي قام بالأمر بعده هو ولده الإمام
المنصور بالله الحسين بن القاسم، ومن نافلة القول
إن الكاتب لم يوقع في هذه المرثية، واكتفى بتوقيعه
على الشاهد على اعتبار أنهما سيوضعان جنباً إلى

درويجي وقامع البدعة^{٤٥} وقد جاء هنا بصيغة قاصم الأعداء وتعني أنه ظاهر على أعدائه، منتصر عليهم في المعارك التي يخوضها ضدهم؛ وهذا ما أشارت إليه سيرة حياته.

• الهمام

الهمام الشجاع، وقد أطلق هذا اللقب على أبي الغضنفر أسد الغازي الصالحي في نص تشييد بتاريخ ٥٥٢هـ بالقاهرة وكان لقباً من ألقاب الرجال العسكريين في عصر المماليك^{٤٦} وقد ورد هنا ضمن ألقاب الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين على مرثيته التي أشادت بمناقبه الحربية.

• المعظم

من ألقاب الملوك والسلاطين، وقد أطلق على السلطان ألب أرسلان في نقش بتاريخ سنة ٤٥٩هـ على صينية من الفضة من إيران وكان أيضاً من ألقاب ملوك المغرب، كما كان يستعمله ديوان الإنشاء المملوكي في بعض مكاتباته إلى الملوك غير المسلمين^{٤٧} وقد ورد هنا لقباً للإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين على مرثيته وهو لقب للتعظيم.

• الناصر والمنصور

ألقاب سبق الحديث عنها عند دراسة ألقاب النقش فيما سبق.

• المتوكل على الله

سبق الحديث عنه ضمن الألقاب التي وردت على الشاهد.

الألقاب التي تخص ابنه المنصور بالله الحسين

• الإمام

سبق الحديث عنه ضمن الألقاب التي وردت على الشاهد.

جنب، ومما يؤيد ذلك أن أسلوب الخط على المرثية والشاهد واحد.

وقد تضمنت القصيدة عبارات المديح، والإطراء، وأخذ العظة، والعبرة من الوفاة، ومن هذا الضريح، وأن الإمام المتوكل كان على خلق ومن أعلى نسب في العرب وهو بيت النبوة، إذ يرجع نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة البتول رضوان الله عليها بنت النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى جانب جمعه للفضائل قاصم لأعدائه، فضلاً عن ذلك فقد ذكرت القصيدة ولده المنصور بالله الحسين وأنه قمع النواصب وقطع دابرهم وحاز الكمال في الناس.

ولهذه المرثية دلالة تاريخية هي أن القاسم كان قائداً حربيًا بما نصت عليه من أنه قاصم لأعدائه أثناء احتدام المعارك ولمعان السيوف، وهو ما أيدته سيرة القاسم من أنه شارك في الكثير من المواقع مع عمه صاحب المواهب الإمام المهدي محمد، وكان يعينه في المهمات فيدفعها عن عمه^{٤٨} إلى جانب ذلك شملت المرثية عدداً من الألقاب التي تخصه وتخص ابنه المنصور بالله الحسين، وهذه الألقاب بحسب ترتيبها في النص هي:

أولاً: الألقاب التي تخص صاحب المرثية

• الإمام

سبق الحديث عنه عند دراسة الشاهد.

• قاصم الأعداء

ورد في كتاب الألقاب للأستاذ الدكتور حسن الباشا: قامع وتعني قهره وأذله وأضيف إليه بعض الكلمات لتكوّن ألقاباً مركبة مثل قامع الإلحاد والمتمردين وهو لقب أطلق على أبي المظفر شاهنشاه بن سليمان بن الأمير منكوجك في نص إنشاء بتاريخ ٥٩٣هـ في ضريح ست الملك في

• الهمام

انظر فيما سبق عن الهمام.

• كهف الأرامل والأيتام

الكهف لغة الملجأ، والأصل فيه البيت المنقور في الصخر وقد أضيف إلى كلمات ليكون مركباً ويعني أنه المكان الذي يلجأ إليه الفقراء، والمساكين، والأرامل، والأيتام ليحتموا به ولما يجدون عنده من الخير والعطف والإحسان.

• حتف الأعداء الطغام

لقب يدل على أن صاحبه حاتف لأعدائه الطغام الذين قاوموه ولم يبق على أحد منهم وذلك لما عرف عن القاسم من أنه قاهر لأعدائه.

• المشهور

لقب يرد على المرثية ويصف المنصور بالله الحسين بأنه مشهور في الناس وأن الجميع يعرفه.

• ذو السعي الحميد

لقب يرد ضمن ألقاب المنصور بالله وأنه صاحب السعي الحميد ذو الخصال الحميدة.

• المهدي

سبق الحديث عنه ضمن الألقاب التي وردت على الشاهد وجاء هنا لقباً للإمام المنصور بالله الحسين.

• مولانا

سبق الحديث عنه ضمن الألقاب التي وردت على الشاهد وجاء هنا لقباً للإمام المنصور بالله الحسين.

• المنصور

سبق الحديث عنه ضمن الألقاب التي وردت على الشاهد وجاء هنا لقباً للإمام المنصور بالله الحسين.

الخصائص الفنية

يلاحظ على هذه المرثية الجهد الكبير الذي بذله النقاش ليجعل من مرثيته تحفة فنية بما تضمنته من عناصر زخرفية كتابية جاءت على درجة كبيرة من الدقة والإتقان نفذت بخط الثلث^{٤٨}، وزخارف نباتية وهندسية إلى جانب العناصر المعمارية تمثلت بالعقد نصف الدائري والمدبب إضافة إلى القيمة الفنية للقصيدة.

وقد توزعت نصوصها في المتن والهوامش: المتن قُسم إلى قسمين؛ القسم العلوي واقع داخل عقد نصف دائري أحيط بهامش والقسم السفلي داخل عقد مدبب ويشمل معظم القصيدة والتي بدأت بالبسملة وعبارة التوحيد في سطر منفصل أسفل الهامش العلوي للمرثية، ثم الحمد والسلام على عباده الذين اصطفى، وأربعة عشر سطرًا نقشت بين خطوط متوازية بارزة بروز الحرف نفسه تضمنت قصيدة مكونة من عشرة أبيات من قافية الألف وهذه القصيدة من البحر الخفيف، ومن الملاحظ عليها أن الشاعر لم يلتزم في بعض مفرداتها بقواعد النحو إذ نجد في السطر الثاني من المتن كلمة واسع والأصح واسع، وفي السطر السابع كلمة العدا والصحيح الأعادي وفي السطر الحادي عشر كلمة يُدعا والصحيح يدعى^{٤٩} إلى جانب ذلك يوجد بيتان من النثر المسجوع بدأت كتابتهما من عند: وبعد فهذا ضريح في السطر الثالث عشر إلى قرب نهاية السطر الرابع عشر عند كلمة عليه السلام.

وتخللت القصيدة عند كل وزن وقافية زخرفة صغيرة قوامها وريدة نباتية ثمانية البتلات، وانتهى بالحديث عن أن هذا الضريح يخص الإمام المتوكل وتاريخ وفاته ١١٣٩ هـ كتب بالأرقام وجاء في سطرين، وأن الذي قام بعده في الحكم هو ولده الحسين.

الهامش في الجانبين الأيمن والأيسر والذي يتكون من ترس ثماني الرؤوس وكندات ولوزات إضافة إلى المستطيل الذي يشغل قسمي المرثية، أما العناصر المعمارية فقد مثلها العقد نصف الدائري والعقد المدبب، العقد نصف الدائري الذي يحيط بالقسم العلوي من المتن، والعقد المدبب الذي وجد في القسم السفلي من متن المرثية، هذا وقد اتخذ هامش المرثية العلوي شكل العقد نصف الدائري.

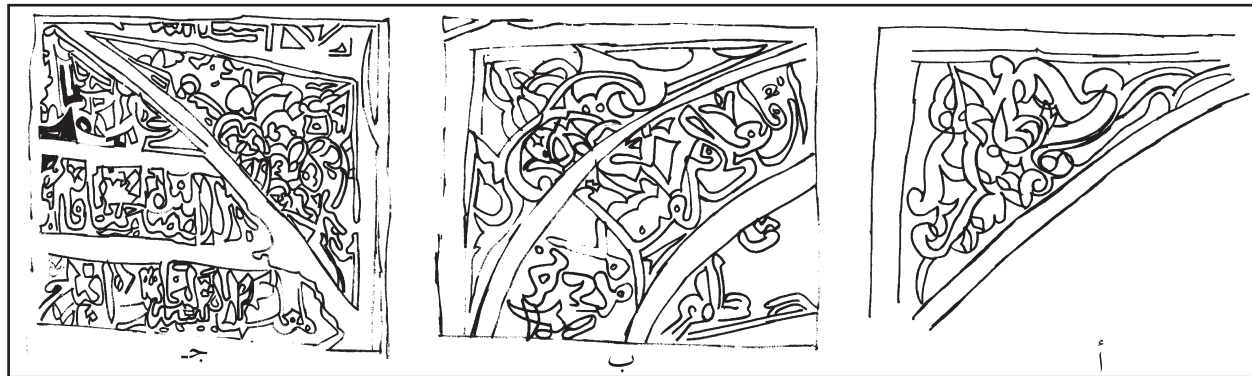
أما الهامش فقد أحاط المتن من الجهات الثلاث اليمنى واليسرى، وتوسطهما زخرفة هندسية قوامها طبق نجمي، وجاءت نصوصه عبارة عن آيات قرآنية تضمنت في الجانب الأيمن والأيسر آية الكرسي، أما الجانب العلوي فجاءت نصوصه من سورة التوبة آية ٢٢، ٢١ إضافة إلى الهامش الذي يحيط بالقسم العلوي من المتن الذي جاءت نصوصه من سورة الحجر، الآيات ٤٥ - ٤٨.

الزخارف

الختامة

- ١- وبعد دراسة هذا النقش الشاهدي والمرثية يمكن القول بأن موقعهما في الجدار الشرقي للقبة الضريحية قد حدد موضع دفن الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين والذي يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من القبة.
- ٢- نفذت كتابات الشاهد والمرثية بخط الثلث.
- ٣- رجحت الدراسات أن الذي أمر بعمل هذا الشاهد والمرثية هو الإمام المنصور بالله الحسين بن الإمام المتوكل على الله القاسم صاحب الشاهد والمرثية، وذلك لأن المنصور بالله الحسين هو الذي أمر ببناء القبة على ضريح والده.

بالإضافة إلى الكتابات التي تشغل المرثية والمنفذة بخط الثلث، اشتملت على زخارف نباتية، وهندسية، وعناصر معمارية؛ فالزخارف النباتية توزعت على هذه المرثية في كوشتي العقد المدبب، ونصف الدائري وقوامها عبارة عن فروع نباتية، وأوراق ثلاثية، وثنائية البتلات (شكل رقم ٦ أ، ب، ج)، وفي سمت العقد النصف دائري جاءت الزخرفة عبارة عن برعم نباتي، إضافة إلى وريدة نباتية تخللت سطور المرثية عند كل وزن وقافية، وهي ثمانية البتلات عدا واحدة فهي سداسية جاءت في السطر الحادي عشر بعد كلمات في الناس يدعا. أما الزخارف الهندسية فقد تمثلت في الطباق النجمي (شكل رقم ١٧، ب) الذي يتوسط



(شكل ١٦ أ) يوضح الزخرفة التي على المرثية في الجزء الأيسر العلوي (عمل الباحث)، شكل (ب) يوضح الزخرفة على يسار النص في الجزء السفلي (عمل الباحث)، شكل (ج) يوضح الزخرفة على يمين النص في الجزء السفلي (عمل الباحث)

- ٤- سجلت كتابات الشاهد اسم الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين ونسبه وصولاً إلى الإمام علي بن أبي طالب.
- ٥- أشارت كتابات النقش إلى أن وفاة المتوكل كانت يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر رمضان في سنة تسع وثلاثين ومائة وألف، وليس كما جاء عند المؤرخين بأن وفاته كانت في يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان.
- ٦- وقع كاتب النص في نهاية النقش باسم أحمد بن صلاح السوداني مسبقاً بعبارة غفر الله لكاتبه محب آل محمد.
- ٧- جاء موضع المراثية بين النقشين الشاهدي وتابوت المتوكل لتؤكد أن هذا القبر خاص بالإمام المتوكل، وقد أيدت ذلك نصوص المراثية التي نصت على 'وبعد فهذا ضريح مولانا'
- ٨- أشارت كتابات المراثية إلى أن الذي قام بالأمر بعد المتوكل هو ابنه المنصور بالله الحسين، وقام بعده ولده المنصور بالله الحسين.
- ٩- أشارت نصوص المراثية إلى أن المتوكل كان على خلق وأنه من أعرق النسب أصلاً وفرعاً.
- ١٠- أكدت المراثية أن المتوكل كان قائداً حربياً، شارك في العديد من المعارك انتصر فيها على أعدائه وأنه حتف الأعداء الطغام، وهو ما أشار إليه المؤرخون عند كتابة سيرته.
- ١١- جاءت الألقاب الواردة على المراثية سواء للمتوكل أو لابنه المنصور بالفاظ تدل على أنهما قتلا أعداءهما وانتصرا عليهم.
- ١٢- تجنب الكاتب تكرار نسب المتوكل وتاريخ وفاته وتوقيعه على المراثية واكتفى باسمه واسم أبيه، والشهر، والسنة التي توفي فيها وذلك لتوقعه بأنهما سيوضعان جنباً إلى جنب.
- ١٣- أشارت الدراسة إلى أن كاتب المراثية هو أحمد صلاح السوداني الصعدي، وهو نفسه كاتب النقش لما في ذلك من تشابه كبير في الخط.

الهوامش

- ١ محمد بن أحمد الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفيتها، (القاهرة ١٣٩٨هـ)، ٩١.
- ٢ علي سعيد سيف، 'دراسة لشاهد قبر ونص تأسيسي للإمام المنصور بالله الحسين في القبة الضريحية بمسجد الأبهير بمدينة صنعاء، حولية أبجديات، العدد الأول، (الإسكندرية، ٢٠٠٥)، ١٢٥.
- ٣ علي سعيد، أبجديات، العدد الأول، ١٢٥.
- ٤ سورة آل عمران، آية ٢٦، ٢٧.
- ٥ سورة الإخلاص.
- ٦ محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع، الجزء الثاني، ٤٢.
- ٧ الشوكاني البدر الطالع، جزء ٢، ٤٣؛ محمد بن محمد زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، (تعز، ١٣٧٦هـ)، ٣٥٥؛ حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم، تاريخ اليمن في عصر الاستقلال، (صنعاء، ١٩٩٠)، ٣٨٣-٤٣٥.
- ٨ محمد زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن، ١٢٦-١٢٧.
- ٩ حسام الدين بن القاسم، تاريخ اليمن، ٤٠.
- ١٠ حسام الدين بن القاسم، تاريخ اليمن، ٤٠.
- ١١ حسام الدين بن القاسم، تاريخ اليمن، ٤٠٦.
- ١٢ حسام الدين بن القاسم، تاريخ اليمن، ٤٠٧.
- ١٣ حسام الدين بن القاسم، تاريخ اليمن، ٤٠٩.
- ١٤ محمد زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن، ٥٩٨.
- ١٥ محمد زبارة نشر العرف لنبلاء اليمن، ٥٩٩.
- ١٦ حسام الدين بن القاسم، تاريخ اليمن، ٤٣٥.

- ١٧ علي سعيد سيف، أبجديات، العدد الأول، ١٦.
- ١٨ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، (القاهرة، ١٩٨٩)، الجزء الخامس، ٥١٦.
- ١٩ علي سعيد سيف، 'مسجد الفليحي بصنعاء ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٦ م دراسة أثرية معمارية'، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد ١٥، السنة الثامنة، (٢٠٠٧)، ١٩٦.
- ٢٠ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٤٤٤-٤٤٦.
- ٢١ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ١٩٤-١٩٧.
- ٢٢ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٣٤٤-٣٤٧.
- ٢٣ محمد بن منظور، لسان العرب، (بيروت، ١٩٥٦)، ج٩، ٤٠٩.
- ٢٤ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٥١٤.
- ٢٥ علي سعيد سيف، الأضرحة في اليمن، (صنعاء، ١٩٩٠)، ١٢٠.
- ٢٦ علي سعيد سيف، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد ١٥، ١٩٨.
- ٢٧ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٥١٢-٥١٣.
- ٢٨ علي سعيد سيف، الأضرحة في اليمن، ٨٢-٨٧.
- ٢٩ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ١٧٩-١٨١.
- ٣٠ سورة البقرة، آية ١٢.
- ٣١ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٦، ١٠، نقلا عن حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ١٦٧.
- ٣٢ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٦٦-١٦٨.
- ٣٣ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٢٨٥-٢٨٦.
- ٣٤ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٥٢٥.
- ٣٥ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٥٣٦.
- ٣٦ حسن الباشا، أهمية شواهد القبور بوصفها مصدر لتاريخ الجزيرة العربية في العصر الإسلامي: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، (الرياض، ١٩٧٩)، ١٢٢-١٢٦.
- ٣٧ أحمد بن عمر الزيلعي، نقوش إسلامية من حمدانة بوادي عليب، (الرياض، ١٩٩٥)، ٨٩.
- ٣٨ عن هذه النقوش انظر: مصطفى شيحة، شواهد قبور من جبانة صعدة باليمن، (القاهرة، ١٩٨٨).
- ٣٩ علي سعيد سيف، أبجديات، العدد الأول، ١٤٩.
- ٤٠ ربيع حامد خليفة، 'توقعات الصناع والفنانين على الآثار والفنون اليمنية'، مجلة الإكليل، العدد ٣، ٤ (١٩٨٨)، ٩٤، ٩٥.
- ٤١ سورة الحجر الآيات، ٤٥، ٤٨.
- ٤٢ سورة البقرة، آية ٢٥٥.
- ٤٣ سورة التوبة، آية ٢٢، ٢١.
- ٤٤ عن سيرة المتوكل انظر فيما سبق من هذا البحث.
- ٤٥ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٤٢٤، ٤٢٥.
- ٤٦ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٥٣٧.
- ٤٧ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٤٧٧.
- ٤٨ سبق الحديث عن خط الثلث عند الحديث عن الشاهد من موضوع هذه الدراسة.
- ٤٩ راجع هذه القصيدة الأستاذ الدكتور عبد الله البار أستاذ النقد بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة صنعاء.